ملف مدينة الصدر

تفتح

مدينة للفقر والبؤس والاحزان التي استوطنتها منذ الهجرة الاولى لهذه البقعة من الجغرافية البغدادية بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ .
مهاجرون تركوا جنوبهم بحرارته ورطوبته وفقره واتجهوا الى مدينة الاحلام حيث الماء والكهرباء والتسلية وحرارة المشهد السياسي ووظائف الحكومة وابهة الكراسي خلف مناضد الخشب والالمنيوم. مهاجرون يتبعهم مهاجرون وراء احلام ما بعد الثورة احلام تهشمت داخل سقوف الصرائف الواطئة ومجاورة بيوت اغنياء بغداد بحثا عن ظل بارد تبخرت الاحلام وانفتحت على واقع مرير لا يقل مرارة عن وضعهم الاصلي وبرغم ذلك انبثق عن هذا الواقع البائس الشعراء والكتاب والسياسيون وخلايا المعارضة لأنظمة القهر وموجات مؤثرة لشهداء من كل مكان وزمان. انبثقت عن هذه المدينة شوكة مزعجة في خاصرة النظام الصدامي الذي اختص بابادة الحياة فيها بسبب وبدونه. مدينة فريدة في كل اشكال تعصباتها الاجتماعية والسياسية ما زالت تعيش على حافة حلم قديم بماء غير ملوث وانوار لا تنطفيء وشوارع نظيفة ومدارس حقيقية للعلم والمعرفة والسير حثيثاً باتجاه مدن النهضة والحضارة والتقدم. ماذا تبقى من الحلم؟ ما هو واقع مدينة الصدر الان؟ (المدى) تفتح ملف هذه المدينة ومدن حزام الفقر حول بغداد لتخرج صورة اكثر وضوحا عن حال هذه المدن وتحديداً بعد اربع سنوات على زوال الكابوس وولادة الحلم القديم الجديد.

إدارات مدارس غير مؤهلة.. ومناهج بلا مدرسين .. وتجاوزات على الهيئات التعليمية!!

بغداد / شاكر المياح

٤٠٠ مدرسة فقط لربع مليون طالب

لا يختلف اثنان في ان العملية التربوية في مدينة الصدر زمن النظام السابق قد شهدت تراجعا مزريا، ذلك لان اهداف هذه العملية لم تكن تحمل سمات علمية او تربوية حقيقية، بل هي موجهة نحو غايات بعيدة كل البعد عن جوهر وقيم التعليم في هذه المدينة التي ناصبها النظام العداء، فبرزت ظواهر مدمرة شملت جميع مفاصلها كالرشوة والغش وتسرب الطلبة الذين هجروا مدارسهم تحت وطأة الفقر وضيق ذات اليد، واليوم وقد انطوت تلك الصفحة السوداء الى الابد، وبدأت صفحة جديدة، وعصر جديد، كيف هو واقع التربية والتعليم في مدينة الصدر بعد مضي اربعة اعوام على التغيير في العراق ؟، (المدى) تجولت في بعض مدارسها والتقت عددا من ملاكاتها ومسؤولي المديرية العامة لتربية الرصافة الثالثة في مدينة الصدر فكانت هذه الحصيلة.

الحر وانقطاع الكهرباء وانهيار أعصاب الطلبة

في معهد البتول لاعداد المعلمات المسائي التقينا المشرفة الاختصاصية (فاطمة كوكز صكبان) وسألناها عن المعوقات التي تواجهها اثناء تأديتها لمهامها التربوية وقبل ان تجيبنا حدثت جلبة وصراخ كان مصدرهما احدى قاعات الامتحانات، هرعنا الى المكان فشاهدنا طالبتين تصرخان وتضربان مقاعد الدراسة،ما لبثت احداهن حتى سقطت على الارض مغشيا عليها ثم تبعتها الاخرى، جرى الاتصال بذويهما ومن ثم نقلهما الى المستشفى تبين فيما بعد ان حالة احداهن خطرة، حدث ذلك وكما تقول مراقبة القاعة بسبب الحر وانقطاع الكهرباء ورهبة الامتحان، وسألتها: الم يكن بالامكان توفير مولدة صغيرة لتشغيل المراوح على الاقل ؟ فقالت: انظر الى السقف، لا وجود للمراوح اصلا، وطالبت بدورها وزارة التربية بتأمين مولدات صغيرة لكل مدرسة او لكل مركز امتحاني، عدت الى المشرفة التربوية التي قالت: هناك معوقات ذاتية واخرى عامة، الذاتية تتلخص في ان الاشراف التربوي يستلزم حضورا مستمرا والقيام بجولات لمدارس المدينة وكل ضمن اختصاصه، وبما ان رقعة المدينة تمتد من القناة الى السدة فان تنقلنا عبر هذه المساحة يتم على نفقتنا الخاصة، لاننا غير مشمولين بمخصصات النقل الممنوحة للمعلمين والمدرسين، اما المعوقات العامة فتنحصر في افتقار مدارسنا لاختصاصات الدروس العلمية كالفيزياء والكيمياء ومادتي اللغة الانكليزية والرياضيات، وكذلك وجود ادارات لبعض المدارس غير مؤهلة وتنقصها الخبرة والكفاءة وهذا يربك العملية التربوية.

معالجة السلوكيات الخاطئة لبعض الطلبة

وتواصل المشرفة التربوية حديثها فتقول: لا بد من الاشارة الى ضرورة معالجة السلوكيات الخاطئة لبعض الطلبة والحد من التجاوزات على المدرسين، هذا الامر يتطلب تعزيز سلطة وصلاحيات ادارات المدارس لوقف انتشار مثل هذه المظاهر اللاتربوية التي تنم عن جهل وتخلف ظاهرين سببهما الاسرة وبعض الشرائح الاجتماعية التي لاتعي دور الملاكات التعليمية الانساني والعلمي والثقافي، كما لا اخفي ان هناك بعض الضغوط التي تمارس ضد الهيئات التدريسية والتعليمية، ناهيك عن الاعراف العشائرية السائدة بين اوساط ابناء المدينة، مع ان هناك محاولات ودعوات جادة على طريق اعادة الهيبة الى هذه الهيئات التي هي شموع تنير الدرب لطالبي العلم والثقافة. مشرفة احدى القاعات الامتحانية شكت من مدرسة غادرت قاعة الامتحان دون اذن من احد بسبب سوء حالتها الصحية التي وصلت حد الاغماء من شدة الحر الذي ساد جو القاعة، وقبل ان نغادر القاعة وصلنا خبر وفاة احد مراقبي الامتحانات الذي كان قد تقدم بطلب يرجو فيه منحه اجازة لان وضعه الصحي على غير ما يرام، وبعد ان رفض طلبه لعدم توفر البديل سقط ميتا، وبعد الاستفسار عن سبب الوفاة، علمنا بانه كان يعاني من عجز في القلب، وربما احدث الرفض صدمة نفسية توقف على اثرها نبض قلبه. في متوسطة (ام عمارة) للبنات، هالنا منظر ام احدى الطالبات وهي تدخل في مشادة كلامية مع مديرة المدرسة ثم اخذت تهدد وتتوعد مدرسات المتوسطة وتنذرهن بالويل والثبور ان لم تنجح ابنتها، سألنا المديرة: هل تتعرضون باستمرار الى مثل هذه الحالة ؟ فقالت: بعد ان رفضت التصريح باسمها، قد لا يكون بشكل يومي، ولكننا اعتدنا عليها لادراكنا اسبابها ودوافعها ونحن حريصون جدا على احتوائها والحد منها سواءا بالتوعية او بالتنبيه الى مخاطرها كونها تمثل انحرافا اجتماعيا يسهم في الحاق الضرر بالعملية التربوية ليس في مدينة الصدر وحدها، بل وفي عموم مدارس العراق.

مشكلات ومشاريع وامنيات

بعد ان انهينا جولتنا القصيرة تلك عدنا الى المديرية العامة لتربية الرصافة الثالثة، ولانشغال المدير العام باجتماع خارج المديرية التقينا معاون المدير العام السيد (عبد حسين ناصر الساعدي) الذي حدثنا عن الجهود المبذولة للنهوض والارتقاء بواقع التربية والتعليم في مدينة الصدر قائلا: اداء المديرية في تحسن مستمر منذ تأسيسها عام ٢٠٠٥، وهي اخذة بالتطور الدائم من حيث نوعية الابنية ووفرة التجهيزات والملاكات التعليمية والتدريسية وكذلك في مجال اعادة الاعمار والتاهيل وزيادة اعداد المدارس، فضلا عن تعميم تدريس مادة الحاسوب في جميع المدارس المتوسطة والثانوية، ويضيف الساعدي: ومن اوجه هذا التطور هو تحسن مهارات القائمين على العملية التربوية من خلال تنظيم دورات تطويرية لتدريب جميع ملاكات مدارس المدينة، ولا اكتم سرا لو قلت باننا نطمح الى تنظيم دورات في خارج العراق بغية اطلاع المدرسين والمعلمين على احدث ما توصل اليه حقل التربية والتعليم في الدول المتقدمة ونقل تجاربها في هذا المضمار الى العراق لمواكبة التطورات الحاصلة في هذا الميدان، وتعزيز الجانب العلمي، لان سلاح المعلم هو العلم والثقافة الشاملة، وواجبه التعليم وترسيخ العلم، ويشدد الساعدي على ضرورة اعطاء الدرس حقه واتباع الاساليب التربوية الحديثة، ويقول: نعاني من قضية تتمثل في اتساع رقعة المدينة وقلة المدارس فيها لا سيما وان اعداد الطلبة في ازدياد مطرد، الان عدد تلاميذ الصف الواحد يربو على ٦٠ تلميذا، وكما هو معروف فان المعدل القياسي لتلاميذ الصف الواحد هو ٢٥ تلميذا،وهذا بالتأكيد يربك المعلم ويحجب الفائدة عن التلميذ، ويبين الساعدي بان المديرية عملت على سد جميع الشواغر ما عدا بعض الاختصاصات كمادتي اللغة الانكليزية والرياضيات، وهذا ناجم عن عزوف اصحاب هذين الاختصاصين الانخراط في العملية التربوية لعدم توفر المحفزات المادية، فهم يفضلون العمل في مؤسسات الدولة الاخرى وفي الشركات الاهلية وهذا يعد احد انجازات مديريتنا.

٢٥١١٤٠ الف طالب وطالبة و ٤٠٣ مدارس

وعن اعداد الطلبة والمدرسين والمدارس اوضح الساعدي قائلا: عدد التلاميذ الابتدائي الذكور يبلغ ٩٥٥٠١ تلميذا ومن الاناث ٨٥٤٢٤ تلميذة فيكون المجموع ١٨٠٤٢٥ الف تلميذا وتلميذة، اما عدد المعلمين من الذكور فيبلغ ١٨٣١ معلما ومن الاناث ٦٢١٧ معلمة ومجموعهما ٨٠٤٨، اما عدد الطلاب من الذكور للمرحلتين المتوسطة والاعدادية فيبلغ ٤٠٢٧٧ الف طالب ومن الاناث ٣٠٤٣٨ الف طالبة وبهذا يكون مجموعهما ٧٠٧١٥ الف طالبا وطالبة وعن عدد المدرسين ذكر الساعدي بان عددهم من الذكور ١٤٦٤ ومن الاناث ٢٢٥٢مدرسة ومجموعهما ٣٧١٦ مدرسا ومدرسة، وبهذا يبلغ العدد الاجمالي للتلاميذ والطلاب ٢٥١١٤٠ الف والعدد الكلي للمعلمين والمدرسين ١١٧٦٤ من مجموع سكان المدينة الذي يقدر بمليونين ونصف المليون نسمة، اما عدد المدارس فيبلغ ٤٠٣ مدارس لجميع المراحل الدراسية، فضلا عن ٤ معاهد للمعلمين،ولا يوجد في مدارس مدينة الصدر دواما احاديا، فكل مدرسة من مدارسها هي الان بدوامين اثنين، ومن هذه الاحصائية يتضح بان متوسط معدل الطلاب في كل مدرسة يبلغ ٦٢٤ طالبا وطالبة ومن المدرسين ما يقرب من ٣٠ مدرسا ومعلما، وهنا تبرز الحاجة الى بناء مدارس جديدة، ولهذا فقد اعلنا عن استنفار تام لجرد جميع الساحات اللصيقة بالمدارس سواءا كانت عائديتها لوزارة التربية او لغيرها بغية تشييد مدارس جديدة عليها، ويضيف: لقد استجابت الوزارة لطلبنا ورصدت ميزانية هي الاكبر بين ميزانيات المديريات الاخرى، ونحن الان بصدد مشروع يتضمن بناء ٥٠ مدرسة انجزت منها ٢٠، اما الثلاثون الاخرى فهي قيد الاحالة، وكذلك ترميم ٧٠ مدرسة فضلا عن تشييد ٢٠ روضة اطفال قيد الاحالة هي الاخرى. اما في حي طارق فقد تم بناء ٣ مدارس والذي تواجهنا فيه مشكلة صعبة تتمثل في كون الارض المقام عليها هذا الحي هي متجاوز عليها ومجهولة العائدية وقد خاطبنا امانة بغداد ووزارة الزراعة وكذلك سعينا لاستحصال موافقة رئاسة مجلس الوزراء لتخصيص ارض تشيد عليها مدارس جديدة،وفي منطقة الاورفلي واجهتنا مشكلة هي بالضد من مشكلة حي طارق، اذ لا توجد فيها ارض خالية من البناء، ويتساءل الساعدي: اين سنشيد المدارس الجديدة ؟ هل نشيدها فوق اسطح المنازل ؟.

اشكالية المناهج الدراسية

تمثل المناهج الدراسية العمود الفقري للعملية التربوية في اي بلد من البلدان، وعن هذا الموضوع حدثنا معاون المدير العام قائلا: شخصنا بعض الحالات السلبية، اذ لا تزال بعض المناهج وخاصة في مادة التاريخ للخامس الابتدائي التي هي بحاجة الى التغيير الجذري، اما في ما يتعلق بتطوير المناهج بشكل عام فقد اعددنا عدة بحوث تتناول بالدرس والتحليل جميع مفردات المناهج الدراسية المعمول بها حاليا ولجميع المراحل الدراسية، ونطالب بايلاء هذا الجانب الاهتمام الذي يستحقه، ويكمل الساعدي حديثه فيقول: ان مشكلة الطالب العراقي المزمنة تكمن في درس اللغة الانكليزية والتي تمثل العقبة الكأداء في طريق نجاحه لسببين رئيسيين اولهما تواضع امكانات المعلم وثانيهما الاطالة في مادة الدرس وعليه نقترح ان تدرس اللغة الانكليزية ابتداءا من الصف الاول الابتدائي، كما تم تشخيص بعض المساوئ في مناهج المرحلة المتوسطة والاعدادية من قبل اختصاصيين تربويين وسلمناها الى الوزارة. وعن المستوى العلمي للطلبة اوضح معاون المدير العام بانه لا يزال متذبذبا نتيجة الضغوطات الامنية والاجتماعية والخدمية كانقطاع الكهرباء ونقص الخدمات او قل انعدامها والبطالة والفواجع المستمرة، كل هذه العوامل تؤثر في نفسية الطالب وتجعله عرضة للتوتر العصبي والقلق وتعكر المزاج، مما يسهم في تدني المستوى العلمي للطلبة، اما النتائج التي حققتها مدارسنا في السنين الماضية فقد كانت غير مرضية للاسباب التي ذكرتها.

مدرسة انموذجية اسمها (كافل اليتيم)

ويواصل معاون المدير العام حديثه فيقول: بمبادرة مني شخصيا وبدعم من الوزارة والمديرية استحدثنا مدرسة خاصة بايتام المدينة الذين تتزايد اعدادهم كل يوم نتيجة استهدافها من قبل العصابات الارهابية والصداميون والتكفيريون اطلقنا عليها اسم (كافل اليتيم) وهي تضم الان ٧٠٠ طالبا وطالبة تبرعت لهم وزارة النقل بسيارة تقلهم ذهابا وايابا وتم تخصيص مصروف جيب وملابس من خلال صندوق اليتيم، فضلا عن تبرعات المحسنين ومنظمة الاغاثة الدولية ومنظمات اخرى متعددة، ونحن ومن خلال (المدى) ندعو الى تعميم هذه التجربة الانسانية والتربوية الفريدة، ونناشد وزارة العمل والشؤون الاجتماعية بشمولهم بمنحة الرعاية الاجتماعية، وتعد هذه المدرسة انموذجية لتجهيزها باحدث المستلزمات التعليمية بدءا من الحاسوب وصولا الى المختبرات، ويلفت الساعدي الى انه في النية استحداث مدرسة ثانوية على غرارها يقبل فيها الطلبة من الاول متوسط وحتى السادس الاعدادي بغية تهيئة اليتيم للدخول الى الدراسة الجامعية وحمايته من الضياع والانكسار النفسي.

مراكز لمحو الامية وتعليم الكبار

ويؤكد الساعدي على ان نسبة الامية في مدينة الصدر تقدر الان ب ٤٠٪، ولاجل القضاء على هذه الظاهرة غير الحضارية بادرنا الى فتح عدد من مراكز محو الامية وتعليم الكبار مثل مؤسسة (الشهيد كاظم عبد النبي الثقافية) تضم حاليا قرابة ٥٠٠ طالب وكذلك مراكز محو الامية للبنات، فيما ابلغنا جميع امناء القطاعات باعداد وتهيئة قوائم باسماء الراغبين بالانضمام الى هذه المراكز وبهذا الاتجاه فقد تلقينا وعودا بدعم مادي ومعنوي كتعيين المحاضرين في هذه المراكز بصفة معلمين على الملاك الدائم. وسألناه: ماذا عن التغذية والصحة ؟ فقال: نظام التغذية المدرسية غير معمول به في الوقت الراهن ولا نزال نعمل على وفق الطريقة القديمة بالاعتماد على الحوانيت، وبمجهود شخصي حصلنا في العام الماضي على ٥٠ طنا من البسكويت تم توزيعها على مدارس المدينة، وفي مجال الصحة المدرسية، فان شحة المياه ورداءة التجهيز تسببت في حدوث ١٥٠ اصابة بمرض التهاب الكبد الفايروسي واصابات اخرى بامراض حمى مالطة والنكاف وامراض جلدية بسبب تلوث منظومة مياه الشرب والاغذية المكشوفة، كما طلبنا من وزارة الصحة ابداء التعاون والمساعدة في تخصيص فرق طبية تقوم بزيارات منظمة للمدارس وفحص الطلبة بين اونة واخرى، وتم التأكيد على ادارات المدارس بمنع الباعة المتجولين وتكثيف التوعية الصحية للطلبة ومنح الطالب المصاب اجازة مرضية تجنبا للعدوى.

المدارس والحاسوب ودور المرشد التربوي

وعن هذين الموضوعين حدثنا معاون المدير العام قائلا: تم تجهيز كافة المدارس باجهزة الحاسوب وتعيين مدرسين لها . وتعزيز دور المرشد التربوي الذي يعد كالطبيب النفساني، كما طلبنا تعيين ١٠٠ مرشد تربوي لتغطية احتياجات مدارسنا من المرشدين ولدينا شبكة انترنيت التي ادخلنا عدد من الملاكات في دورات للتدريب عليها، كما انشأنا نظاما لحفظ ملفات جميع المدارس في هذه الشبكة.

الاشراف التربوي والتدريس الخصوصي

بعد ذلك التقينا المشرف الاختصاصي (عصام حميد المالكي) وسألناه عن دور المشرف التربوي سابقا وحاليا فقال: لو اجرينا مقارنة بين عمل الاشراف التربوي الاختصاصي في زمن النظام السابق والاشراف التربوي في الوقت الراهن لوجدنا ان هناك بونا شاسعا بينهما، كان المشرف التربوي انذاك يشتغل سمسارا للتدريس الخصوصي والمشرف حاليا يحارب هذه الظاهرة المضرة بالتعليم بكل ما يملك من وسائل، واجزم صادقا بأن هذه الظاهرة قد تلاشت في مدارس مدينة الصدر،ويتضح هذا جليا من خلال توجيه المديرية القاضي باقامة دورات تقوية مجانية للطلبة وفي جميع المراحل الدراسية وخصوصا المنتهية منها، وعن المستوى العلمي للطلبة فقد اوضح المالكي بانه متدني جدا نتيجة الوضع المعاشي البائس للمعلم والمدرس في الظروف الراهنة، وخشية المدرس من الطالب بسبب تدهور الاوضاع الامنية. اما زميله المشرف الاختصاصي عبد الكريم حنون فيقول: التعليم هو الركيزة الاساسية لبناء الانسان والمجتمع، ولتقوية هذه الركيزة لا بد من بناء المعلم اولا، وامامنا تجارب لدول عالمية قطعت اشواطا بعيدة على طريق التطور والتقدم بعد الحرب العالمية الثانية كاميركا واليابان والمانيا والتي بدأت بنائها اولا بالمعلم، وهنا ادعو الى اعادة هيبة الهيئات التعليمية وتفعيل التلفزيون التربوي لدوره في التعريف بمهمة كل من المعلم والطالب، واشباع حاجاتهما المادية والحياتية، فضلا عن تطوير مهارات المعلمين والمدرسين من خلال زجهم في دورات وزمالات دراسية في داخل وخارج العراق وشمولهم بالبعثات الدراسية، ويشير الى ان المعلم لن يتطور وهو قابع بين اربعة جدران، مؤكدا على ان التعليم في العراق لا يزال يعاني من هفوات سلوكية واجتماعية نتيجة تعرضه لحالتين، الاولى عندما كان تحت سلطة النظام السابق وقبوله الرشوة أدت الى تردي العملية التربوية برمتها وتدهور المركز الاجتماعي لعموم المعلمين والمدرسين حينما بدأ الناس ينظرون اليهم بعين الريبة والشك، والحالة الثانية تتجلى في الظروف الراهنة ومعاناتهم من الوضعين الامني والاقتصادي، ويلفت (حنون) الى ان علماء النفس والاجتماع قد وضعوا الحجر الأساس للعملية التربوية من خلال الخروج من التقليدي الى الحداثوي ونبذ طريقة التلقين واشراك الطالب في التفكير وابتكار الوسائل التعليمية والاستفادة القصوى من معطيات الثورة التكنولوجية الحديثة التي يسرت المصادر العلمية والاتصالات.

الاشراف التربوي والامتحانات

ولانشغال مدير قسم الامتحانات باجتماع خارج المديرية، التقينا مدير قسم الاشراف التربوي الاختصاصي محمد صدام الربيعي وسألناه عن استعدادات المديرية للامتحانات ورأيه بالدفتر الالكتروني فقال: استعداداتنا عالية جدا بعدما حققنا ثلاثة اجتماعات برأسة المدير العام وبحضور مدير قسم الامتحانات تم فيها تدارس متطلبات الامتحانات ومن جميع الجوانب، كما جرى تعزيز الجانب الامني لتأمين انسيابية الامتحانات، كما شددنا على عدم السماح لاية محاولة للغش في الامتحان من خلال توجيه مدراء المراكز وضرورة ان يسلم الطلبة كتبهم لمسؤولي الاستعلامات والتأقلم مع جو انعدام الكهرباء ولتأمين جميع مستلزمات الامتحانات اكملنا دواما كاملا يومي الجمعة والسبت بحضور المدير العام.وبخصوص اعتماد الدفتر الالكتروني فاعتقد انه اجراء حضاري وانا مع فكرة جعل البصمة على جميع اوراق الدفتر وعدم اقتصارها على الغلاف حصرا. اتوقع تحقيق نسبة نجاح فوق الوسط، وهناك تباين واضح بين مستويات طلبة مدارس حي جميلة ومدارس نهاية المدينة مثل مدارس حي طارق، ويضيف: نحن نسعى الى توفير اجواء امتحانية ملائمة وتشجيع المراقبين وتعزيز الجانب النفسي كي لا يكون المدرس مهزوزا، اما المشكلات فغالبا ما يثيرها الطلبة الخارجيين المشتركين في الامتحانات لان معظمهم من الموظفين واصحاب مناصب ادارية وبعضهم تخطى سن الشباب.